صوت من بعيد

٣

هل في افريقيا وآسيا حركة اسلامية
مركزها مصر

الجامعة الاسلامية

هذه نتمة البحث الذي بدأنا به في الجزئين السابقين بشأن مصر واحوالها السياسية

﴿ مزيتان لهذا العصر ﴾ يمتاز هذا العصر بحركتين . الاولى حركة عمومية والثانية حركة خصوصية . اما الحركة العمومية فهي قيام فريقين من الناس للدعوة الى تآخي الشعوب وابطال الحروب . غير ان لكل فريق منهما طريقاً تخالف طريق صاحبه . فاحدهما وهو حزب الاشتراكية يقول ان الناس في كل امة آكل ومأكول . وظالم ومظلوم . فطبقة النبلاء واصحاب المال تسخر لمصالحها طبقة الشعب والعمال وتستقطر دماءها استقطاراً في مقابلة اجور تافهة . وهي لا تحجم عن اثارة الحروب وايقاظ الفتن اذا كانت مصالحها المالية تقتضي ذلك وفي زمن الحرب تجلس بجبن في قصورها عاكفة على ملاهيها في حين ان الشعوب تتناحر وتتجازر في ساحة القتال . فعلى الشعوب اذاً ان تصحو من رقادها الطويل الذي دام قروناً عديدة وتتحد في كل امة وكل مملكة لمقاومة هذه المطامع والفظائع . وقد وضعوا لهذه المقاومة طريقين . الاولى داخلية ومقتضاها اجتماع العمال وتأليفهم جمعيات يسمونها « سنديكا » لتكون المدافعة عنهم لدى اصحاب الاعمال والوسيط لديهم في كل ضر ينال عالمهم . وقد اضطرت الشرائع الاوروبية والاميركية الى الاعتراف بسلطة هذه الجمعيات واعتبرتها ممثلة للعمال وان ساء ذلك اصحاب الاعمال . والسلاح الاحد في ايدي هذه الجمعيات انما هو مسألة الاعتصاب المشهورة التي تُرغم بها اصحاب الاعمال على الرفق بعمالهم وتحسين احوالهم وكف الاذى عنهم . والطريقة الثانية خارجية وهي ان الشعوب والعمال لما رأوا ان عدوهم واحد وهو طبقة الاقرباء الذين يبتزونهم ويستثمرونهم كالحيوانات وجدوا ان مصلحتهم هي في تضامنهم واتحادهم على اعدائهم في الداخل . فاصبحوا يمدّون ايديهم بعضهم الى بعض من امة الى امة من فوق الحدود والاسوار التي تفصل الممالك والامم بعضها عن

بعض. ولذلك سموا انفسهم « اميين » والفوا لجنة دائمة دعوها « اللجنة الاشتراكية الاممية » لادارة شؤونهم المختلطة . ومن حين الى حين يعقدون مؤتمرًا عامًا يمثل جميع الاشتراكيين من الامم ويتباحثون في هذا المؤتمر كاعضاء حزب واحد. ولا يزال يدوي في الآذان حتى اليوم صدى خطبة ببل زعيم الاشتراكيين الالمان ضد جوريس زعيم الاشتراكيين الفرنسويين وذلك في مؤتمر امستردام منذ عامين حيث اخذ ببل على جوريس اتفاقه مع طبقة اصحاب المال في فرنسا لسن الشرائع الديموقراطية . فهو لا يرضى بهذا الاتفاق وان اثمر شرائع ترضى عنها الاشتراكية . وقد رأى هذا المؤتمر رأي ببل فغير جوريس بعد قراره هذا شيئًا من سياسته العمومية . وكلما اعترض على الاشتراكيين خصوصًا في فرنسا بانهم موالون للالمان اعداء وطنهم ومخدوعون بهذا الولاء الذي يجرّ على فرنسا البلاء ويضعف وطنية نابتة الفرنسويين فيجيبهم جوريس اننا في الازمات الصعبة بين فرنسا والمانيا سنؤثر على المانيا باتفاقنا مع اشتراكيها تاثيرًا لا تؤثره عشرة جيوش حربية لانهم سيكونون اعوانًا لنا ضدّ الحرب اذا خطر لالمانيا اثارة حرب عدوانية علينا اذ من مبادئ الحزب الاشتراكي مقاومة كل حرب تقصد بها الامة الاعتداء على امة اخرى لا الدفاع عن نفسها. واليك دليلاً اوضح من هذا على قوّة هذه الحركة فان المسيو جوريس زعيم الاشتراكيين في فرنسا كتب منذ بضع سنوات كتابًا الى صديق له اشتراكي في ايطاليا يقول فيه : ان المحالفة الثلاثية « بين ايطاليا والمانيا والنمسا » كانت ضرورية لموازنة حماسة الحزب الفرنسوي الذي يريد الحرب . فلما نُشر هذا الكتاب ادمت صاحبه جرائد فرنسا الغير الاشتراكية طعنًا ونقدًا

هذا احد الفريقين اللذين يدعوان الى السلم العام. واما الفريق الثاني فانه يدعو هذه الدعوة ولكن من طريق أُخرى اسلم واحكم . ونريد بهذا الفريق اعضاء « حزب السلم والتحكيم العام » الذي يرى ان جميع المشاكل التي تقوم بين الحكومات وتثور بسببها الحروب يمكن فضها بالتحكيم الدولي بدل اراقة الدماء وتعطيل مصالح الناس . وانصار هذا الحزب آخذون في الازدياد وهم من خيرة الساسة والعلماء والاقتصاديين في كل امة . واول اغراضهم اليوم (ايقاف التسليح عند حده الحالي اولاً . ثم عقد الدول مؤتمرًا لتقرير تركها السلاح تركاً نهائيًا جميعها معًا) . وان في هذه الكلمة (جميعها معًا) امرًا خطيرًا لان خصوم هذا الحزب يقولون كلما دعا الحزب الى مبادئه ان دعوته هذه الى تجريد وطنه من السلاح تؤول الى جعل بلاده طعمة لكل آكل ولذلك يقول لهم (جميع الاوطان معًا)

هذه هي الحركة الاولى العمومية المزدوجة التي هي من مزايا العصر الحاضر . وهي حركة سلم واخاء . اما الحركة الثانية التي تقدمت الاشارة اليها وتُعد ايضاً من مزايا هذا العصر فهي حركة تكاد تكون ضدّها . ونعني بها حركة (الجامعات) ففي العالم الآن عدة حركات مرماها الى تاليف جامعات خصوصية . فهناك (الجامعة السلافية) و(الجامعة الجرمانية) (والجامعة اللاتينية) و(الجامعة الانجلوسكسونية) « والجامعة الصفراء » اي بين الجنس الاصفر في الصين واليابان . « والجامعة السوداء » في افريقيا « والجامعة الاسلامية » التي عليها مدار الكلام في هذا الفصل

﴿ غرض هذه الجامعة ﴾ وقبل البحث في نفع هذه الجامعات او ضرّها يجب ان نبحث في غرضها . واننا نرى غرضها يختلف باختلاف عناصرها ومبادئها وكيانها السياسي . فغرض الجامعة السلافية ضمّ جميع الشعوب التي هي من اصل سلافي تحت جنحي النسر الروسي وهذا هو السبب في احتضان روسيا السرب والبلغار . ولالمانيا غرض مثل هذا الغرض من جامعتها الجرمانية في التمسا على الخصوص . واما الجامعة الصفراء فغرضها التعاون على كف ايدي اوروبا عن المداخلة في شؤونها . واما الجامعة اللاتينية والسكسونية فغرضها اتفاق معنوي او محالفة فعلية بين العناصر التي تتالف منها كل واحدة من هاتين الجامعتين . وبناءً على ذلك يكون في هذه الجامعات ما هو جائز في عرف السياسة والعدل كالجامعة الصفراء والجامعة اللاتينية والسكسونية لانها لا تعتدي على حقوق الامم ولا تخالف عرف السياسة والعدل ومنها ما هو غير جائز كالجامعة السلافية والجرمانية التي يقتضي العمل بها المداخلة في شؤون داخلية لدولة أُخرى مما يجلب الاضطراب ويثير الفتن بين البشر

فانت ترى في ما تقدم انه من الجائز للامم ان تتفق فيما بينها على غيرها دفاعاً عن مصالحها . وان « الجامعة الاسلامية » التي كثر الكلام فيها في هذا الصيف في اوروبا ومصر ليست ببدعة جديدة في الارض . ونحن ناظرون الان نظراً اجمالياً لنرى باي شيءٍ تتفق مع تلك الجامعات وباي شيءٍ تختلف عنها . لان الحكم في جوازها او عدم جوازها انما يتوقف على الحكم في هذا الامر

﴿ وجوه الوفاق والخلاف ﴾ يظهر لنا ان الجامعة الاسلامية تتفق مع اكثر تلك الجامعات في اشياء وتختلف عنها في اشياء . اما الوجوه التي تتفق فيها مع تلك الجامعات فاخصها وجهان الوجه الاول ان غرضها اولاً الدفاع عن نفسها وثانياً الرغبة في

السيادة الدنيوية بواسطتها (١) فهي آلة دفاع وهجوم . والوجه الثاني كونها مثلها متفرقة بين عدة امم اسلامية وحكومات مختلفة وافرادها يُعدون بالملايين . واما الوجوه التي تختلف فيها الجامعة الاسلامية عن تلك الجامعات فاخصها وجهان الوجه الاول من حيث اسمها وروحها . فان اسمها يجعل صبغتها دينية محضة . خلافاً للجامعة الجرمانية مثلاً التي هي جامعة جنسية محضة . واذا كانت الجامعة الاسلامية آلة سياسية لا دينية كما ذكرنا ذلك في المقالات السابقة فانما هي كذلك عند الخواص الذين يديرون حركتها وهم قلما يجسرون ان يجهروا بذلك لانهم يقطعون الطريق على انفسهم اذا جهروا به لان الحكومات التي تحكمهم او التي لمصالحها التصاق بمصالحهم تتصدى لهم بحجة اثارتهم الافكار واستعمالهم المبادىء الدينية وسيلة لغرضهم السياسي . بل هناك امر اعظم من هذا . وهو ان كلامهم لا يؤثر في جمع الشعوب الاسلامية المختلفة المصالح والعواطف الاَّ من الوجه الديني . فاذا علم الشعب ان غرضهم السياسة لا الدين والدفاع عنه واعلاء كلمته على كلمة اي دين غيره فانه قلما يتأثر لكلامهم او يتبعهم . فالخلاف بين الجامعة الاسلامية والجامعة الجرمانية خلاف عظيم من هذا القبيل . ولعلَّ هذا هو السبب في ان اوروبا تجد الجامعة الاسلامية امراً مستقبحاً عندها مع كونها تجد الجامعة الجرمانية امراً معقولاً . وكلما قالت لها اصحاب الجامعة الاسلامية ان عملهم مبنيٌّ على العدل والحق لانهم انما يطلبون انهاض انفسهم واسعاد احوالهم ليكون لهم اسوة بسائر الامم اجابتهم ان مطلبكم معقول مقبول وهو من حقكم ولكن طريقكم اليه طريق غير مقبولة لاننا نحن الاوروبيين لا يمكننا ان نفهم كيف يمكن انهاض الامم بالدين ولا عقولنا تدرك كيف يمكن ان تكون علاقة بين الفارسي مثلاً والعربي مع كونهما من جنسين مختلفين محكومين بحكومتين مختلفتين مستقلتين . فيلزم عن ذلك ان يكون لكم غرض غير طلب الاستقلال وتأييد جنسيتكم وتاريخكم ونظن ان هذا الغرض هو اجتماعكم علينا كما هي سنة الضعفاء مع الاقوياء . ففي هذه الحالة لا نلومكم لان الحياة جهاد يفوز بها الاقوى . وانما نعتبر جامعتكم هذه ضدَّنا وعملكم لربط بعضكم ببعض عملاً لا تقصدون به غير العدوان علينا . فلا تلومونا

---

(١) المراد بقولنا « الدنيوية » ترجمة كلمة Mondial التي وضعها الامبراطور غليوم في احدى خطبه اصلاً لسياسته حيث قال ان سياسة المانيا Mondial ومراده سياسة السيادة في الدنيا

اذا نظرنا الى جامعتكم شزرًا

ووجه الخلاف هذا يجرنا الى الوجه الثاني من وجوه الخلاف بين الجامعة الاسلامية وتلك الجامعات . فالجرمانيون في النمسا مثلاً انما يتمسكون بالجامعة الجرمانية لرغبتهم في الانضمام الى جرمانيا لانهم من اصلها وتمنيهم ان يكونوا محكومين بالشرائع الجرمانية والروح الجرمانية والتاريخ الجرماني لانها شرائعهم وروحهم وتاريخهم . واما الجامعة الاسلامية في فارس وتركيا وامارات الهند المستقلة وافغانستان ومراكش فليس لها غرض كهذا الغرض لانها محكومة بشرائعها الخصوصية وباحكام تاريخها . فلها اذًا غرض آخر غير الرغبة في المعيشة بحسب مزاجها وارادتها . وفضلاً عن ذلك فهي من اجناس مختلفة بين عجمي وعربي وتركي وهندي ولا مصلحة تربطها بعضها ببعض غير ضغط اوروبا ورغبتها في النهوض من عثرتها . وافترض انها خلصت من ذاك الضغط ونهضت من عثرتها فانها لا تلبث ان تتفرّق كلمتها وتتخالف وتتنافر وتتحارب كما كانت في الزمن القديم يوم كانت سائدة قوية ولم يكن امامها اقوياء ينازعونها البقاء . فرغبتها اذًا في الانضمام بعضها الى بعض انما هي رغبة وقتية لا دائمة كما هي الحالة في جرمانيا

﴿ تاريخ نشأة الجامعة الاسلامية ﴾ ان السياسي الفرنسوي غبريل شارم يرجع تاريخ نشأة الجامعة الاسلامية الى عام ١٨٨٠ . فانه قال في تاريخه « مستقبل تركيا » ان اوروبا كانت يومئذٍ تحرّض اليونان سرًّا وتمدّها بالمال والسلاح لمحاربة تركيا توصلاً الى سلخ ولاية ثساليا عنها قبل تحديد التخوم بينهما . وبينما كانت اليونان تهدّد الباب العالي بقطع العلائق السياسية اذا لم يعتبر ولاية ثساليا داخلة في الحدود اليونانية كانت امارة الجبل الاسود تهدده مثل ذلك التهديد اذا لم يسلمها مدينة دلسينو في حدودها . واساطيل الدول تستعد لمظاهرة حربية ارغامًا للباب العالي على هذا التسليم . وفوق ذلك تحركت السرب واخذت في حشد جيشها لتصطاد في الماء العكر . وكان الباب العالي يمانع اشد ممانعة ويدافع عن املاكه دفاعًا شديدًا . ولكنه لما رأى الفتنة في تونس واستعداد فرنسا للمداخلة الفعلية فيها هان عليه التسليم بكل شيء لليونان والجبل الاسود تفرغًا للمسألة التونسية . ولما احتلت فرنسا تونس وجاءت انكلترا تحتل مصر ضاعت ثقة جلالة السلطان باوروبا وبعدالتها فاخذ يلتمس له سندًا قويًا في آسيا ضدّ القوة الاوروبية التي كانت عازمة على اكل مملكته كما يؤكل الخرشوف ورقة ورقة . فاصبح الناس يقرأون في التلغرافات اليومية اخبارًا

كالخبر الآتي « يقال ان شريف مكة قد اشار على جلالة السلطان بنشر اللواء النبوي واعلان الجهاد » ولكنهم لم يلبثوا ان كذبوا هذا الخبر . على ان هناك خبرًا آخر اقتبسناه من جرائد سنة ١٨٨٠ وهو رسمي لانه ورد في التلغراف عن لسان وكيل وزارة الخارجية الانكليزية وهذا نصه :

« لندن ٢٨ اغسطس (آب) »

« اثبت السر شارلس ديلك وكيل وزارة الخارجية وجود جريدة تطبع في المطبعة السلطانية بالاستانة تنشر في بلاد الهند خاصة متضمنة مقالات مهيجة للشعب على الحكومة الانكليزية وان الجناب السلطاني ينفق عليها من ماله . ولكن اجابة لطلب المستر غوشن الشديد « وهو السفير » امتنع الجناب السلطاني من اداء النفقة المذكورة فتعطلت الجريدة »

فيظهر من قوله « الهند خاصة » ان المناومة كانت موجهة بالاكثر الى الدولة الانكليزية لانها كانت اشد الدول على الدولة العثمانية . واليك ايضًا خبرًا آخر مقتبسًا من جرائد تلك السنة (١٨٨٠)

« روت جريدة الطان عن مراسلها في برلين ان احد كبار الدولة وضع تاريخ الخلافة الاسلامية ورفعه الى الجناب السلطاني فسرَّ بتلاوته وتأثر منها تأثرًا شديدًا حتى انه عزم على مقاومة اوروبا ورفض تداخلها في امور مملكته . وقد تم تعريب هذا الكتاب وأُرسل منه عدة نسخ الى البلاد الحجازية وآسيا الصغرى فتولد عنه ما شاع من ان امير المؤمنين سينشر العلم النبوي ويأمر بالجهاد المقدس للدفاع عن الوطن »

على انه ولئن كان في هذه الاخبار شيء من المبالغة الا ان مستقرئ تاريخ حوادث ذلك العام وما يليه لا يُحسب بعيدًا من الصواب اذا حكم بان فكرة (الجامعة الاسلامية) انما نشأت في تلك السنة (ستأتي البقية)

✻ الى حضرات المشتركين ✻ ترجو دارة المجلة من المشتركين الذين لم يبعثوا اليها بقيمة اشتراكهم في المجلة سواء كان ذلك في اميركا الشمالية والجنوبية او خارجها ان يتفضلوا بارسالها اما حوالة على البوسطة او شك على بنك او اوراق مالية اميركية في كتاب مسوكر او حوالة على احد تجار نيويورك ولهم الشكر مقدمًا

✻ اصلاح خطأ ✻ ورد في الصفحة ٢٨٣ السطر الثاني (زوجة المركيز سيلفا) والصواب (ابنته)